الأطلنطي . وسحرتهم الديمقراطية الفاتنة واجتذبتهم الحرية ، فما إن ألقى الغربيون المتحاربون سلاحهم حتى هب الشعب الجزائري هبة واحدة يظهر شعور الفرح والغبطة بدنو الحرية ، فمشى في الشوارع أفواجاً منظمة يحمل أبناؤه الأعلام واللافتات فيها دعاء للحرية ومطالبة بالاستقلال .

هال المستعمر سماع صوت الشعب وحرارة ندائه فأمر القيم العام البوليس بتفريق المتظاهرين وتمزيق أعلامهم ولافتاتهم ، فنفذ البوليس الأمر بغلظة وقسوة . هاج الشعب وغضب لهذه المقابلة الظالمة فعاد ثانية إلى التجمع والمناداة بغضب للحرية والاستقلال ، فقابلهم البوليس ثانية برصاص البنادق ، ففر الشعب إلى الضواحي يصب غضبه على بيوت الفرنسيين .

قامت قيامة القيم العام فأمر الجيش بإخماد الثورة .. مشى الجيش بجانبه أصحاب الأراضي من الفرنسويين وقد نضوا ثيابهم المدنية وأخذوا يعملون سلاحهم معه في رقاب الأهلين ونيرانهم في أكواخهم ، وما زالوا بهم تقتيلا وتحريقاً حتى طرحوا بقاياهم في الصحراء وقد انجلت الواقعة عن ثلاثين ألفاً من القتلى .

وقد عزز هذه الحكاية سعادة الأستاذ أمين الجامعة العربية بقوله : لما كنت في باريس حادثت أولي الأمر هناك بهذه الواقعة المحزنة فلم أسمع منهم إنكاراً لها ، ولكنهم قالوا إن فيها مبالغة ، والحقيقة التي اعترفوا بها هي أن عدد القتلى لم يتجاوز الثمانية عشر ألفاً !

وددت لو اتسع المجال لعرض كل ما سمعت من الأستاذ المحاضر ومقارنة أعمال المستعمرين بعضها ببعض ، ولكن ما إلى هذا رميت ، ولا إلى التشهير قصدت ، إنما مرماي هو كشف النقاب عن الظلم الكامن في نفوس الغربيين المستعمرين ، ثم ما هو الواجب علينا حيالهم .

أنا لست مؤمناً بالإنسان ولا بعلومه ، ولا بعقله ، وقد كشف الكثير من أسرار الطبيعة ، وأنكر كل الإنكار المدنية والحضارة والتهذيب والكياسة وكل الأخلاق الفاضلة في الشعوب الأوروبية التي لم تقو على محو روح الشر المتأصل فيها ولا اقتلاع جذور الظلم الكامن في جوانبها ، ولا هبوط حمى الجشع المستعر في ضلوعها ، إنما أومن عن عقيدة بأن الشر يدفع الشر وأن الظلم لا يقتله إلا الظلم .

حبيب الزحلاوي

خواطر مسجوعة :

فلسفة الأمل . . .

سأل سائل : ما الأمل ؟ قلت : مصحح العلل ، ومبدد الملل ، ومتقن العمل . مذلل الصعاب ، ومهون العذاب . مُعبِّد التراب ، ومكوثر السراب . مُصغِّر ما جل ، ومكثِّر ما قل ، ومُغْنِي القل ، بعسى ولعل ! الأمل ساحر مُزوِّق ، بالأوهام يسرق ، وكاذب ملفِّق ، فلما يصدق ! الأمل سالب الأحلام ، وناهب الأيام ، وغالب الآلام ، ومصاحب المولود حتى الحمام ! ما أحب الأمل إلى القلب ، وإن استحق الثلب ! قوعده عذب ، وكذبه خطب . خياله فتنة ، وحقيقته محنة . بدايته جنة ، ونهايته جنة ! الأمل يصور المستقبل أجمل تصوير ، وما تصويره إلا تزوير ؛ ويُقدِّر المحبوه أحسن تقدير ، وما تقديره إلا تغرير ! الأمل كالأفق الممتد ، يظهر على بعد ، وكأنه بعد خطوات تُعدّ ، يكون في متناول اليد ! يُجسم لنا الوهم ، فنخطئ الفهم ، ونتسرع في الحكم ، على المغيَّبات الصم البكم ! رونقه جذاب ، ومنطقه خلاب . خمرته أشهى من ابنة الأعناب ، ونشوته عزم متوقد وثاب ؛ فإذا حسرت الحقيقة عن وجهها نقاباً ، وكشفت الغيبة عن سرها حجاباً ، تبدلت خمرة الأمل صاباً ، ونشوته أوصاباً ! فهو الهم المرغوب ، والمرض المحبوب ، والصديق الكذوب ، والجاد اللعوب ! يُثقِل ولا يُقيل ، ويُطمِع ولا يُنيل ، ومن عجب أنه يخيل ، وكل الناس له خليل ! بيد أن له في الحياة شأناً يُؤثر ، وأثراً يُذكر ؛ فإذا قلنا : إن الحي بدونه كمن يقبر ، فهو بلا شك البعث الأصغر ! يخلق من البعوضة جملا ، ومن الذرة جبلا ، ومن الضيق سبلا ، ومن الظلمة بدراً مكتملا ؛ ومن الضعف قوة ، ومن الشيخوخة فتوة ، ومن مرارة العيش لذة سائغة حلوة ، ومن الشقاوة سعادة مرئية مرجوة !

فلولا الأمل ما ثار مثابر ، ولا خاطر مخاطر ، وما تسابق قاصر وماهر ، ولا تنافس عاجز وقادر . ولولاه ما حلا زاد ، ولا طاب رقاد ، ولا تسلّى فؤاد ، بميعاد بعده ميعاد !

هاشم يرد